



ذاكرة الغيب

شعر

ذاكرة الغياب



الحقوق كافة
محمولة
لاتحاد الكتاب العرب

E-unecriv@net.sy

البريد الالكتروني:

mail :

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu-dam.org>

□□

حسان الجودي

ذاكرة الغياب
شعر

من منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق - 2005

ذكرة ما قبل ميلادية

لي جناحان من العشب
وعينان من الورد
وغيم مسرع.
أعلو،
فتنأى الأرض والأشباح،
لا أبصر من يبحث عني،
عني أرتاح من تأويله الآخر للمنقار،
فلأعل كثيراً،
كي يعيد البرق تكويني:
دخان من تلاوات يغطيني،
جزم من تباريح يلف الروح،

أصحو قرب ينبوع،
يريق الطين في الأثلام،
أمشي مثلما يمشي،
نلم الثمر الساقط،
لا نأكل،
أستلقي، وقلبي يفتح الصدر رويداً،
ليريه طينه المخبوء.
. أحتاج إليها.
قال لي بعد تنائها،
ركضنا خلفها،
لم نلق إلا العالم الطيني في ماء غدبر يتجمهر.

**

ذكرة أمومية

السَّهْلُ أصغر من جنوني. حين أزرع شجرةً،
يمتدّ سهلٌ آخرٌ،
سهلٌ وسهلٌ، والمساءُ يدقُّ بابي بالعطايا والرّجالِ..
ولن أرى عينيهِ،
أعرفُ، لا يريدُ صعودَ نهدي
منذ أن هطلت دموعي قربه
في آخر الشّهواتِ واللّيلِ الحزينِ.
لا أكره الأشجارَ،
قامته كما الأشجارُ تعلو، غير أن أصابعي،
امتدّت سياجاً،
كي تحاصر وحشهُ،

لم يكثرثُ،
فتح السيّاحِ،
وغابَ،
لم يعرفُ بأنّ مياهه خلقتُ جنيني.
هل يعودُ؟
وألفُ صيادٍ على الأبوابِ ينتظر التّلاقحَ،
لا أريدُ أمومتي الخضراءَ والرّجلَ المبجلَ بالذكورةِ،
تحمل الأمداءُ أمنيتي الخفيّةَ،
أستحيلُ إلى سرايِ،
هل يراني حين يظماً للحنينِ؟

**

ذكرة رعوية

سَجَنَ الخرافَ ونايَ عشقي للغريبه،
جَزَّ القصائد وانتظاراتي بسكّين التسلط:
. لن تراها.

قال، فاحترق المساءُ أمام قلبي طائراً،
ورأيتها تدنو إليه،
وتلصق الريشاتِ بالقبلِ الحنون،
رأيتُ نجماً،
قلتُ: يا أبتى، الرحيل.
. بدونها..

ومضى إلى امرأةٍ جديدة،
فقتلته عشرين عاماً.. ألفَ عام،
ثمّ فاجأني بدعوتِهِ لإرجاع الحبيبة.

ذاكرة فرعونية

كاهنُ المعبد لم يشعلُ بخوراً،
أرقتَه في ظلام الليل ريحٌ، تتلوى،
أغلق الباب على حجرة موتاه، وصلّى.
لا الطمانينةُ تغشاهُ،
ومنذ الفجر شيءٌ في سرايين رؤاه يتلظى،
أتراه الموت يأتي صاخباً؟
ما أكثر الموتى، وما أهدأهم!
ينتظرون الرحلة . الوعدَ
التي حدثتهم عنها طويلاً:
ربّما عاد الذي أمس قضى،
عاد، ولم يعثر عليها.

أنا لم أخدعه:

مأنت،

وهي الآن تلمُّ الزَّهرَ في عالمها السفليِّ من أجلكما.

سِحري شبيهه بغديرٍ،

يدفع الأحلام والموتى إلى النَّهرِ فرادى،

ثمَّ لا يجمعها حين وصولي.

**

ذكرة إغريقية

لا تنم وحدك،
فالحزن قريب،
صوتها المسحور والمعبد والنجم الغريب..
تظهر الليلة قبل الموت في أشياء السبعة،
ما تطلبه الروح لديها،
ويداها حقة،
تخطف قلب العاشق النائم،
ترميه إلى التسر،
يئنّ الشجر الساهر من ترجيعها العذب،
يقفور الطين من ملمسها الغامض.
لا تركض إليها حين تدعوك الدروب،

سوف تدعوك طويلاً،
أنت رهن الحب في كل اتجاه،
لم لا تبحث عن صورتها الأخرى؟
ستأتيك إذا عدت وحيداً،
لا تنم وحدك،
أشعل شمعة الماء،
ليأتيك الحبيب.

**

ذكرة صحراوية

الشمس تولم ما تنظى للرياح،
سياح رمل كالإبر.
يثغو الصدى من خيمة طارت:
أما أن التحول للمطر؟
تنساءل الغيمات،
أسمع رأي قرائي،
فأجترئ الكتابة من جديد،
أنثر التبغ القديم على رقيم،
ثم أدخل في الصور:
. صحراء في كفّ الخزامى،
ناقة حبلى،

خيامٌ ترتدي ألوانها،
امرأةٌ تمدّ غدِيرها،
ماءٌ يلاقح طينةً..
. صحراءٌ مخملها ينزّ كآبةً،
نَسْرٌ يهوّمُ،
شَجَرَةٌ تتقيأُ الأوتادَ،
وامرأةٌ تعود مع الغيوم..
فأنثر التَّبغَ القديم على رَقِيمِ،
ثمّ أدخل من جديد في الصَّوْرَ:

.....
.....
.....

**

ذاكرة عربية

تحدثُ هندُ شقيقاتها عنه:
كيف يلفّ السماءَ بمغزلهِ كلماتٍ جميلةً،
وكيف يهّلّ كريحانةٍ في الرّواقِ،
وكيف بلا وردٍ جاريةٍ يستفيض حناناً.
قصائدهُ منتقاةٌ لعقد الملوكِ،
مجالسهُ ياسمينٌ،
يعطرّ صمتَ الحضورِ،
ووحدهُ يمضي إلى مُنتزهِ أفكارهِ.
حدّثتُ هندُ عنه طويلاً،
أضاءتُ مراهيه تاجَ الرّمُودِ،
فاختبأ الضّوء خلف الجديلةِ،

تعيد أصابعه للبنفسج في وحدة اللّيل،
تسمع عطرَ حفيفٍ،
تقوم إلى الباب،
تلمحه في البعيد،
على الأرض يكتب أشعاره
مثلما يكتب النمل قمحته في دفاترِ دربٍ طويله.
بخف الظلام يجيء،
مع الفجر يمضي رقيق الخطى،
لا يعود لهند التي أرضعته الكلام،
يصلّي قبيل الرحيل،
ويترك ركعته،
تتساقط حرفاً فحرفاً:
أريدك نافذةً مستحيله.

**

ذاكرة غنائية فولكلورية

يا طويلَ الأسي يا آس الهنا
أعطني غصناً أحركُ زمننا
إن بقينا يرحل الحبُّ بنا
إن رحلنا لا نرى آفاقنا
أشربُ الخمر لأنسى خمزنا
وأقول الشُّعر كي يحلو بنا
يا قويَ الورد ما نفع الجنى

حين لا نزرعُ إلا وهمنا
يا نديّ القلب سبّع حزننا
بدموعٍ أمسكت طوفاننا
قبلةً في السّرّ لن تجمعنا
وصلاةُ العشق ليست سكنا
يا غديراً نام في أعراسنا
لست لي إلا بعرس (الميجنا)
يا بهي الصّوت لا تكبت سنا
كلّما أنشدت أنشد حنّنا

**

ذاكرة حمصية [1] (1)

لا يحبّ القهوة المرّة والموتَ و(أخذَ الخاطرِ) المكسورِ
بالفنجانِ والغمغمةِ المكتنبةِ،

لا يحبّ العيدَ والمقبرةَ النَّائيةَ،

الشُّوكَ،

وأغصانَ الخطى المضطربةِ.

حمصُ في ذاكرةِ الأيامِ موتٌ أسودُ الكفّينِ في حمرةِ طينِ،

لِمَ لا تغسلِ كفيها (بعاصي) (2) الولاداتِ؟

لِمَ الحاراتُ والأطفالُ والعشاقُ في وحلِ المآسي؟

يسرقُ الشّعْرُ سؤالاً من جذوعِ اللّغةِ المحتطبةِ،

(1، 2، 3) حمص مدينة سورية والعاصي نهرها الكبير وعادة في حمص لا تتعى المرأة الميتة بواسطة أذان المساجد كما هو الحال مع الموتى الرجال.

يسمع الشاعر تأديناً⁽³⁾ قبيل الظَّهرِ:
مات (الحاجُ)،
مات (الذَّكْرُ) الصَّالحُ،
من يَنْعِي له موتَ (حبيبِ)،
أنتتُهُ حِمصُ قبراً دون تربة.

**

ذاكرة شعبية

اطحن جناح العندليب مع المطر،
واعصر مع التارنج دمع حمامة بكر،
إذا طلع القمر.
قطر خمور قصائد في خلوة العليان،
واقطف من تجليها نهراً،
رُجّ الخليط بجرّة،
ليلي بها أخفت حجاراً⁽¹⁾،
واسكبه فوق مخدة الزوج الظنون،
لكي يرى قيس حبيبتة،
إذا انتجع الديارا.

⁽¹⁾ قيل: مات قيس بن الملوّح في واد كثير الحجارة.

ذكرة أوروبية معاصرة

عادةً يترك الغرباء حبيباتهم حين يأتي الشتاء،
وحين القطارات تمضي بهم للربيع،
يحاول أولهم أن يحب،
وثالثهم أن يحب،
وخامسهم أن يحب،
وسابعهم يشتري وردة،
ويعود إليها،
على بابها المغلق انتظر الليل،
لن تسمع الطرّق،
عوّدها في الظلام احتضان الوسادة والقطّ..

عاد كثيراً،
ولم تفتح الباب،
يذكر مثل ضبابٍ، تغشاه:
كان على مقعدٍ في المحطات بين خريف الجرائد
والنسوة العابرات،
وكانت وراء الصّفير تذوب مع الدّمع والسّكر الجسديّ
المكسر كالأمنيات الجميله.
لم يزل في الحقيبة تلج الرّصيف،
أصابه تنثر الصّمت فوق النّزيف،
سيربط ثانيةً غيرها ليديه
بدون القصيدة والعشق والقبلات الخجولة.
ما مضى قد مضى،
والمدينة خمارة،
والصّبايا على كأسه ينتظرن رحيله.

**

ذاكرة

شعرية عربية محاصرة

- (1) لم نتفق يوماً أمام القهوة السوداء،
تعترف الشوارع أنها ما شاهدتنا
جلسةً نمشي على أحجارها،
وأنا أسابق شعرها:
الريح تسحب خُصلةً،
وأنا أجادل خُصلةً،
وينوس قنديل المساء،
(2) ويلون المرأة ظلُّ من سراج ذابلٍ،
وحياله امرأةً،
تحقق في كتاب

- بالِ، وتبسم في اكتئابِ.
(3) يمشي على المرآة مثل غمامةٍ بيضاء،
من سرق اللهبُ؟
الموت يشعل ما تبقى من رمادِ العمرِ،
يسأل عن سببِ،
ليعيش يوماً آخرًا.
(4) من أين هذا الحزنُ يدخلُ،
آه، روعي نفخةً،
ولقامتي شكل القصبِ.
(5) تأتين مثل حمامةٍ أو شمعدانِ،
شفتاك سوسنتانِ،
قامتك النخيلُ،
وأنت صُبْرَةٌ حنطةٍ،
غبنا، وهاج الشوقُ،
فاشتعل المكانُ.
(6) لم تشتعل كلّ الحقولِ،
ولم يزل قمحي وفيراً،
والأصابع لم تزل تغلي بمعجزة المياهِ.
لِمَ انهدمتِ،

وكنْتُ أبني فوق سورِكِ نجمتين؟

- (7) لا نلتقي إلا وداعاً عند مفترق الحديث،
تقول لي مثلاً: تزوّج،
أية امرأة من الغرباء أجملَ من بنات الحيّ،
لكن لا تصدّق أياً امرأةٍ سواي.
- (8) ولن أصدّق صمتها،
سأكذب التّمثال في شرفاتها،
وأكذب اللّاحبّ في لوحاتها،
سأطير من شفق إلى شفقٍ،
لألقط ما تناثر من حنينٍ،
خبّأته بكهف غيمٍ،
لا يقاسمني رؤاي،
لا لن أصدّق ما تقولُ،
ولن تصدّق نأي أشعاري،
إذا ابتعدت خطاي.

*

* إشارات:

- 1 . من قصيدة (اعترافات 1989) للشاعر عبد النبي التلاوي.
- 2 . من قصيدة (في الليلة الظلماء 1948) للشاعر بدر شاكر السياب.
- 3 . من قصيدة (مجيء الذي يأتي 1992) للشاعر محمد عمران.
- 4 . من قصيدة (قامة قصب 1987) للشاعر عبد الكريم الناعم.
- 5 . من قصيدة (استدراكات شهرزاد 1986) للشاعر محمد وليد المصري.
- 6 . من قصيدة (صدى 1994) للشاعر علاء الدين عبد المولى.
- 7 . من قصيدة (تعاليم حورية 1995) للشاعر محمود درويش.
- 8 . المقطع الأخير للشاعر.

**

ذاكرة شعرية عربية قديمة

على إصبعي من نور روحك هالةً
وفي شفتي ممّا اختزنتِ بذورُ

على جسدي ممّا رسمتِ حديقةً
وفي كبدي ممّا لهتتِ قبورُ

أنام وفي كفيّ ابتهال حرائقِ
وأصحو وفي ورد الحريق نهورُ

بقاؤك برقٌ إذ ضممتُ يشائي
وهجرك ماءً إذ شربتُ مريزُ

أسير وهبّاتُ الدماء تقودني
وروحي إلى فصل الحنين تشيرُ

قرأتِ كتاب العشق فوق أصابعي
وفي الحزن لم تقرأ يدك طيورُ

أ أنساكِ حتّى لا أضيءَ دفاتري
بسرب نجوم نبضهنّ عبيرُ

أ أنساكِ حتّى لا أحنّ على يدي

وأبني قباباً في الفراغ تدورُ

فديتُكِ جسماً لو تمكّنه الرّدى

لهبّ له من ساعديكِ سريرُ

فديتُكِ روحاً لو تمزّقتها الرّوى

لطاق بها في مقلتيكِ نشورُ

(وأذكر أيام الحمى ثمّ أنثني)

على حُلمٍ تحت الرّماد يفورُ

(وليست عشّيّات الحمى برواجعِ

إليكِ)، ولكنّ الصّباحَ ضريرُ

(حننتَ إليّ ربّاً ونفسُك) قد رأّت:

نسيجُك من ريبَا عليك قصيرُ

(فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعاً)

وتجزعَ إن شقَّ الفؤاد نذيرُ

تعالى هوانا أن يشنتت شمنا.

وقد شجر الكفين منك بشيرُ

ولابدَّ أن يبكي الرحيقُ على فمي

ولابدَّ أن تبكي عليك زهورُ

ولابدَّ من نايٍ يحنّ لموتنا

فيورق في سجن المدينة سورُ

لأجلك يا جمر الأصابع شدتني

فإمّا يسأل النار منك غدير

وإمّا ارتعاش للقسيمة ماؤه

وإمّا مخاض للدماء عسير

ذاكرة دمشقية

المكانُ: ندىً في صباح الوجوه،

المكانُ: عناقيدُ خبزٍ وماءٍ،

تهلّ لمراى الغريبِ،

حمامٌ قديمٌ يغطّي فراغَ التأمّلِ

أيقونةَ التوتِ

ظهرَ دمشقَ البعيدةَ.

المكانُ: أضعتِ حليّك في شارعٍ مغلقٍ،

فرجعنا، لنبحثَ عن وسوساتِ الشّفاءِ

التي اتّضحتُ بالبريقِ المذهبِ من (باب توما)⁽¹⁾ إلى

(الحميدية)⁽²⁾

⁽¹⁾ (من أحياء دمشق القديمة)

⁽²⁾ (من أحياء دمشق القديمة)

تحت مظلاتٍ وقتٍ جديدةً.

المكانُ: لنا كلّه،

مدخلٌ في جدارٍ قديمٍ،

ارتشاحُ الأئنين من الورد فوق القناطرِ،

عينٌ تراقبُ،

أخرى تسلّمُ،

أخرى تنقحُ قمحَ الذنوبِ.

المكانُ: له كلّه،

قهوةٌ في النوافيرِ،

تُقطفُ أعنايبها بعد أكلِ الزبيبِ.

**

ذكرة لونية

خضراء ريشتها كعشب،
شدبته أصابعُ الفجرِ التدي،
خضراء لوحها كأحداقِ الربيعِ على السّياحِ،
من الحجارةِ يمشقُ الجسدَ المزنرَ بالعُريّ:
سهماً من الأمواجِ،
في موجٍ من الشّعْرِ الملوّحِ للهواءِ
يشبُّ نحو الغيمِ متسقَ التّوازنِ
هادئَ الحركاتِ
مرفوعَ اليدِ اليمنى إلى حيثِ العيونُ،
تعانقُ (الجوريّة) الحمراء فوق الكفِّ،
تنزفُ،

ينزل النَّزْفُ المولَّهَ دريَّها الجسديَّ نحو بضيض⁽¹⁾ وديانٍ،
تجلَّى في أقاصيصها نبيٍّ،
قطراته نجمٌ،
تشعَّبَ ضوؤه،
وامتدَّ في كلِّ الجهاتِ إلى عروق الصَّخر والبركانِ والجبلِ
القصيِّ.
من عزلةٍ خضراءَ أو سوداءَ أو حمراءَ
لمتَّ نَحْلَ ألوانٍ،
وكان القلبُ وردتها التي نزلت عليَّ.

**

⁽¹⁾ بضّ الحجر: سال منه الماء.

ذاكرة وصفية

أرسمُ الشَّارِعَ خَطِّينَ على لوحِ التُّرابِ،
أجمعُ الخطو إليها خطًّا وردِّ،
وانتظاري في كتاب اللَّيْلِ حبراً،
وصراخي حين لا تأتي إشاراتِ نداءٍ.
صوتها غصن النَّهاياتِ
الَّذِي يعلو بأهرامِ العذابِ،

هي فوق السَّطحِ تشتاق إلى (دائرةِ الطَّبشورِ)،
تَهْوِي من أعالي مستطيلِ الهمِّ:
. طفلٌ، عاشقٌ، زوجٌ، رحيلٌ..
وأنا أرسمُ حبًّا مستحيلاً،
ثمَّ أُلغِيه بمِمْحاةِ الضَّبَابِ.

ذاكرة قصصية

ما أجملُ الحرّاس في قصر الأغاني!
يمسكون البرقَ عن قتل الحصان،
ويمنعون اللّيل من فضّ المكان،
يتنزهون على ثريات الكتابة،
يُمطرون الرّوح تقليدَ الوسامة والشّهامة،
يَعْتلون مقاعد الأوزان،
كي يتنفسَ الشعراءُ آفاق الجديد،
ويرقصون،
ويسجدون،
 ويفتحون الباب للزّوار من بلد المعاني.
هم لا يحبّون التّأخر عن عشاء الحبّ،

يجتمعون كالأزهار حين حضورها،

ويعد أصغرهم عجينَ الحزن. بعد غيابها،
يتعطّرون بما تبقى من حنان.
ما أجمل الأنثى إذا حضرت،
وغاب جميع حراس الأغاني!

**

ذاكرة شكسبيرية

وقف الجنونُ أمامه:

شِعراً نديّاً في مديح جفافها،

قُبلاً معصّرة الورود،

وذكرياتِ نِمن فوق فراشها.

رقص الجنونُ أمامه:

رجلاً يقبل عنقها،

عنباً يرطب حلماً،

مطراً يسابق نهرها.

ركض الجنونُ أمامه،

فراه يطرق بابها برسالة،

هربت من النيران،

والفخّ السماويّ المعلق فوقها.
اشتعلتُ بروقٌ فوق نصل حكايةٍ،
أخذتُ حبوب التّوم،
نامتُ في ممرّات الرّؤى،
والمسرح المهجور كالسّكين يلمع في كوابيس المساء.

**

ذاكرة طفولية

خَلْفَ البحار السَّبْعَةِ اختبأت أميرة،
في القمقم المسحور يُؤنسها انتظارُ.
قمر الحكايا يمطر الأجيال أمواجاً من الأحلام،
يبلعها النهارُ.
في الصّف نكبر كالخراف على جزيرة،
(فستانها) يعلو،
ويعلو الصّوت بالتّنبيه،
ننزل حين يعلو،
نفتح السّاقين بالأوهام،
علّ القمقم المسحور يطلع بالأميرة.
كبرت حكايات الصّبا،
النّورس الظّمان أعيته البحارُ،

وهناك خلف سرابها ظلت أسيرة.
**

ذاكرة معاصرة

(مرحى لمقهى
لا يحنّ لزائريه،
مرحى لسوق،
يشترى الألوان من زغب الفراشة،
كي يبيع رماده،
مرحى لأغنية بلا فيروز،
تغسل في الشوارع وحلها،
مرحى لمن غطى الحرائق بالزجاج،
فأصبحت كرة على رفّ المتاحف!)
تصرخ الحرياء في قيلولة اللون القصيرة:
(آلاف مرحى للمدينة في حذاء،

كَعْبِهْ أَعْلَى مِنْ الْأَحْزَانِ!
أَسْمَعُ وَقَعَ أَقْدَامُ الصَّبَاحِ،
وَأَسْمَعُ الْحِرْيَاءَ تَهْمَسُ لِلظَّهْرِ:
مَقْهَى (الْقَصِيدَةِ) كَوَكَبٍ،
فِي رُوزِ فِيهِ تَعِيدُ تَرْتِيبَ الْكِرَاسِيِّ وَالْأَمَاسِيِّ
بَعْدَ حَفْلَتِهَا الْأَخِيرَةِ.

**

ذاكرة مستقبلية

تتلون الأشياء،
تركض مهرة نحو الخريف،
فيستحيل العشبُ أصفراً.
تتغير الأشياء،
أصبح كالنبيذ معتقاً،
ويزورني عنبٌ،
ليسكز.
ليس اعتقاداً بالأساطير التي تختار رباناً جديداً،
كي يفود هواءها،
ليس اقتناعاً بالتراكم:
ما يجيء من النوافذ ليس أعلى،
ما يُعلب من ورودٍ ليس أنضراً،
لكنه الشعر الذي نحياه جمرَ لفافة،

سيؤمّ ذاكرة التبوغ بما تغيّر .

**

ذكرة عشقية

(1)

كي أهدد وجهك،
أحتاج أسطورة الخلق،
ثمّة فيه مراكب،
تبحر في اللجج الساكنات إلى ضفة الكون..
ثمّة فيه طيور،
تواصل عقد السماء على العشب،
ثمّة فيه عصائب قمح،
خريف من الذهب المنفتح في الطرقات،
مزامير فجر،
هطولات شمس،

غناءً قديمٍ يسيل من الشرفات..
عليّ إذاً أن أعيد الطّبيعة للصّفر،
كي أتمكّن من رؤية الشّعْر والأنفِ والشّففتين.
وعليّ التّضاؤلُ كالماء في الكأس،
حتّى أحسّ بغيم الحنان على الرّكبتين.
ما عليّ سوى أن أعيد دمائي إليها،
وأدوب كما الحبر في ورق العالم المتكوّر في الرّاحتين.

(2)

مثلها من يكوّر طيني على الانتظار،
ويسقيه من شغَبِ القبلات رحيقاً
مثلها من يعلّق قلبي على الشّجر المتفحّم،
كي أتكاثر ريباً رقيقاً
مثلها من يهدّم صمتي على حائط الأبدية،
ثمّ عليه يوالي البروقا
مثلها من يهدد خفقَ دمائي فيمشي هوائي
على كوكب التّوم حلماً رقيقاً
مثلها من يضمّ شفاهي، ويعصر فيّ الإشارات،
حتّى المحالات تصبح ريقاً

مثلها من يقبل عيني، فأبصر روعي من الحب
تسحب دلو الكلام عميقا
أيها الغيم في فمها، تخرج الآن من صمتها، لأقل:
تتفجر نهراً شفوفا

(3)

ملأت عليّ الليل لم يبق كوكب
أحاوره إلا وشاخ لما بيا
ملأت عليّ الماء لم يبق جداول
يزاوج دمعي حين أبكي لحاليا
ملأت عليّ الخمر لم يبق موضع
من الفرح الورديّ يعلو دواليا
ملأت عليّ الصمت حتى كأنني
مرشأت بوح قد سكن القوافيا
(على مثل ليلي يقتل المرء نفسه)
فيدفق من صدري القصيد سواقيا
(خليلي إن ضنوا بليلى فقربا)
لي الياسمين الجمر يكوي جراخيا
لعلي إذا وهماً وُصِلتُ بحائها

سقطتُ إلى الأعلى فأمسكُ بائها

(4)

أنتِ أيقونةٌ، تتسلطُ فيها البراكينُ، جوهرها من صلاة الأرق
أنا خلفك أعمى، يسير ونيداً، فصبي على جسدي كرنفال الشفق
لأضمّ العناصرَ، ثم أطوقها في عناقيدَ، ينضج فيها الألق
هل أحبك أكثر؟ حين أحبك، أكثر منّي فراشك فوق الحبق
لن أحبك أكثر! أكثر منّي دمائي إذا طال نجمك ليل الورق
كلما أصفُ الحبَّ في الشعر يسفحني الحبُّ في الكون نثراً بهي العبق
فلماذا خيوط الكلام أقفي؟ لماذا أروض في الشعر خيل الترق؟

(5)

كزوجتي أنسجُ شعري من بكاء التوت،
كحبّها، أعيشُ حين أموت.
في وسعها أن تلقم الأنداء طفلها،
تلاقح السحاب،

تَجْمَعُ الأَصْدَافَ واليَاقوتَ .
في وسعها النَّزولُ نحو السَّقْفِ من منسوبها الكونيِّ ،
حتَّى تملأَ الأعشاشَ بالأفراخِ
والأزهارَ بالأبواغِ
والصِّبَارَ بالحلاوةِ المفقَّدةِ .
في وسعها النَّزولُ نحوي جمرَةً متَّقَّدةِ .
وليس في وسعي بدون مائها أن أعشَبَ التَّابوتَ .

(6)

كزوجتي جنينٌ يَأْسِي واضِحٌ ،
كحبرها بكاءٌ نهري مالِحٌ ،
أنا شبيها الأصيلُ
ظلُّها النَّحيلُ
نخلَةُ الجفافِ
والهواءُ الصَّالِحُ ..
دَقِّي بكفِّكَ الهواءَ ،
يسقطُ الشَّعْرُ طيوراً ،
تَرْفُمُ الدِّمَاءُ .
دَقِّي بكفِّكَ التُّرابَ ،

يفتحُ السُّرَّ عيوننا،
تغمضُ الفضاءُ.
دَقِّي، لأنِّي خاسرٌ مدائحي،
دَقِّي، لأنِّي رابحٌ!

(7)

كنُ حبيبي الأخير،
القصاصُ تُبحثُ عن شفقتك،
ترقصُ إيقاعها،
وترتّبُ أحوالها،
وتدسُّ الكواكبَ في ذيلها، لتصيرُ الحمامةُ في الضوءِ
أقربَ من لفظةِ الحبِّ في الدفترِ المكتتبِ.
كنُ حبيبي الذي يقتربُ،
وحبيبي الذي قد يطيرُ مع الغيمِ.
أكتشفُ الفرقَ بينكِ والأخرياتِ،
ففيكِ العصافيرُ تزرعُ قمحاً،
وفيهنَّ تأكلُ زرعِي،
ومنكِ الينابيعُ تغسلُ روحي،
ومنهنَّ تمسحُ دمعِي،

وكلّ الأصابع فيكِ نَحَالٌ،
وفيهنَّ حَبَاتُ طَّلَعِ.
كنْ حبيبي الأخيرَ،
لنْ أعودَ إلى البدءِ،
صار السَّرَابُ غديرا.
كنْ شِبَاكِي إلى الأبديةِ
حتّى أموتَ كثيرا،
وأعيش كثيرا.

**

ذاكرة اليقظة والحلم

خلسةً أمشي،
لئلاً أوقظ العصفور،
أنسابُ خفيفاً مثل حبات الندى،
تسقط فوق الورد،
هذي كلُّها دنيا جديدة:
البساتينُ،
علوُّ النَّهرِ حتَّى الشَّجرِ المقطوعِ،
جرأتُ طنينِ تُخرج النَّحلَ الصَّباحيَّ،
هروبُ القمرِ النَّائمِ،
تهويمُ فراشاتٍ سعيدةً..
وإذا كنتُ غريباً في تفاصيل غريبة،

أفتح الباب قليلاً،
فأراني خارج الباب أسيء المشي،
لا أقدر أن أزحف.
آه..

لي جناحان،
وجسمي ناعلاً أصفر في ورقة توت،
أستطيع الطيران الحر في سرب السحابات البعيدة.
وإذا كنت فراشاً في انخفاط عجيبة،
أفتح الباب قليلاً،
فأراني داخل الباب وراء النوم أفعي،
وعلى ظهري نعاس،
يحمل الرؤيا الولودة،
أقف الآن على الفاصل بين اللحم واليقظة
في عثم الفراش.
كان حُلماً حين أصبحت فراشاً،
أم تراه يحلم الآن الفراش؟

**

ذاكرة ذكورية

ليس هذا جسد المرأة,
هذا كوكب,
منه الخطايا تهطل.
غبطتي أتي قريب,
أزرع الآس عليه,
وشقائي أن آسي ذابل.
أنضح الماء عن الأحجار,
ما أعلى سراب الجبل المخبوء تحت الحلمة السمراء!
ما أعلى نشيجي حين غيري يبلغ الدرّوة قبلي!
كم تشامخت,
تهاونت؟

وكم أطلقتُ خيلي تعبر الفجَّ الذي نامتُ عليه القبلاثُ
الرَّعشاتُ
الرَّجُلُ الآخرُ
والعطرُ الأثيمُ القاتلُ؟
أتملَّى صورتِي بين مرآيا الجسدِ المهوورِ ،
أستقري حكاياتي لثدييهِ ،
تلاواتي لأبكارِ حقولِ ،
حملتُ بذري ،
فلا أسمع إلاَّ صرخةَ النَّعناعِ إذ يمتصه الآخرُ
والأثلامِ إذ يحرثها الآخرُ
والأثمارِ إذ يمضغها الآخرُ
والأعناقِ إذ يقطفها سيفُ الجنونِ الدَّاهلِ .
لا تلوميني إذا ما انتفضَ الشَّاعرُ كي يقتلِ ،
والأشعارُ كي تصفعِ ،
والأحداقِ إذ تغلي بجمرِ القهْرِ ..
أبكي ، وأنادي ، وأصادي ،
وأعضُّ الرُّوحَ حتَّى ينفِرَ الدَّمُّ على الهامةِ .
تابوتي عقابُ ،
وعقابي مثلُ نقصي كاملُ .

ليس هذا جسد المرأة،
هذي حية الإثم،
تغاوى فوق كفيّ،
تلفُ الطّفْلُ إذ يأتي إليها جائعاً للحبّ،
تدنيه إلى القمح قليلاً
وإلى النّهر قليلاً،
وكثيراً ترفع الرّأسَ إذا غاب،
وتصلّو، كي يصلّ المنجلُ.
لستُ ديكَ الجنّ،
ورد امرأتي قبل نزيف الشكّ،
ورد الكوكبُ السّاهر في القلب، الطّليقُ المتواري،
وردُ كانت قبةً من حنطة الأحلام،
يعلوها انتظاري.
لم تكن أثقلَ من حزني،
خفيفاً كهواءِ البحرِ أغشاها،
فتعشاني نشوراتّ،
ببرقي أخصب الأيام،
لم أشهدُ خريفاً لحنيني،
لم تُلوّح بالمناديل،

ولم تطفئ نهارى .
ما الذى شق بحارى؟
لدروب السمك الأسود، من أطمع خبزي بومة الشك،
ومن ألقى إلى بئري بأحماض احتضاري؟
لست طياناً،
لأحيا شارياً خمري من الكأس الوحيدة،
لست ديك الجن،
كي أقتل،
أو أندم .
مات الشاعر المغدور في نثر الحضارات الجديدة،
مات سكين الخلاص المر،
ماتت وردة التكفير،
وانداحت جنازاتي إلى قبر القصيدة
غير أنني سوف أبكي،
كلما أيقنت أن الجسد الخارج مني،
يتلوى نطفة من شبهاة قرب عشتار الولوده،
فليكن جلدك أفسى من فجاج الكلس،
فليحرق يديك الماء،
فلتأكل من التدي الخفافيش

من البطنِ الثَّعابينُ
من السَّاقِ الثَّالِيلُ..
ولنَّ أسمعَ ضَوْرَ النَّدَمِ القاتِلِ،
لنَّ أسمعَ إلَّا أَلْمِي،
يَمْتَدُّ خَيْطاً من نَشِيحِ لَمَسَاءِ،
كُلَّ يَوْمٍ لي تَعِيدُهُ.

**

ذكرة حمصية [2]

حمصُ في كيسها الأسودِ المتدلّي على النّهرِ،
ترشح بالأصدقاء الغيورين من موتها المسرعِ،
نلتقي دون معجزةٍ،
نتهامس عن قمر الرّكبتينِ المسيحِ بالنّارِ
عن عنب الإبطِ
عن صوتها المتقطّرِ خوفاً على فمنا الجائعِ
وكثيراً نُعرّي المدينةَ، كي نلبس الشّعْرَ،
أو نتمسك بالنّثرِ،
كي تصعدَ الرّوحُ فوق تفاعيل هذا التّلوثِ في الماءِ والأرضِ
والغييمِ..
مكسورةٌ في يدينا المصابيحُ،

كيف نضيء البحيرة بالكشفِ
والنهرَ بالوصفِ
والحميدية كالوعر⁽¹⁾
والوعرَ كالعرشِ
والناس والأرض بالشجر الساطع..؟
لا نعيد الحجاره للسورِ،
لا نستطيع التسلقِ،
نعشق كل النساءِ،
ونمرض كالبيغاء الغريبةِ،
نسقط كالزهرِ، نُذبح سراً
علانيةً نتسامق في صورة المبدعِ،
كم كثيراً تسنُ المدينةُ إزميلها!
كم تضيق العبارةُ في قبرها الواسعِ!

**

(1) الحميدية: حي قديم من أحياء مدينة حمص. والوعر حي جديد فيها.

ذاكرة القصيدة

تلك رائحةُ الخبزِ،
كم جعتُ!
منذ ثلاثين أو أربعين خريفاً
منعتُ عن الأكلِ،
تلك الهتافات للماءِ
منذ فطامي،
وضعتُ على فرسٍ من سرابٍ.
كم هزلتُ من الطعن في جسدي الورقيّ،
وجفتُ عروقي من الندبِ!
كم سقطتُ عن جبيني القلائدُ
بالوزن والنثرِ

والهزُّ والمدح والقُدح
والمرض المتخيَّل والاكتئاب.
يا لصوتِ العصافيرِ ،
كم تستفزُّ غنائي الكسيحَ المعلقَ من إبطه
بين شكل قديم وشكل جديدٍ
ومعنى تكررَ كالماء في النَّهرِ .
ثمَّ غزالٌ ،
وثمَّةَ ريحٍ ،
ولا شيء غير التَّنصتِ ..
لا قنصَ ، لا كشفَ
لا شيء ، غير ابتكار الحرابِ .
انتظرتُ طويلاً صبيّاً صغيراً ،
يقود خطاي إلى مسرح الشَّعرِ
دون كواليسَ
دون سماسرة النَّشرِ
دون الوصاياتِ
دون النَّياشينِ
دون مجاملة الصَّهر والعَمِّ واللَّون والثَّدي ..
لم يستمع لصراخي نبيُّ

ولم يكثرثُ لهوائي غريقٌ،
وما زلتُ أجهلُ شكلي
ولون عيوني
وطعم شفاهي
وما زلتُ أشعلُ شمعاً وراء الحجابِ.

ذاكرة واقعية

يقول المفكّر: عشتُ كثيراً،
وشاهدتُ شوك المراثي يصير حريراً.
يقول المفكّر: قلبي جريده،
وحبري يجفُّ على الكيس فوق الحليبِ
وفوق الهواءِ
وفوق الديونِ الجديدة.
أسير إلى أول الشهر فوق الغيوم،
وفي آخر الشهر أعلي الكآبة سوراً،
ليصعد طفلي إلى الفجر في كتب،
لا تفكّر بالخبز والرّزّ.
يا شجر الانتظار، تشبّث بحقلي،

ويا بائع الملح, ضمّد جراحي,
ويا جمرة العيش, كوني بعيدة,
لأسفح نهر الحروف,
وأمشي عليه طيوراً,
تزقّم أفراخها تمتات سعيدة.

**

ذاكرة الغياب

زرتُ الغيابَ،
فكان قلبك وردةً بيضاءَ في قبرِ الحضورِ،
زرتُ الحضورَ،
فكان وجهك جرّةً تسقي الغيابَ،
فمالهُ هذا الحضورِ يشقُّ طينَ التّرح،
كي تلد البكاءَ؟!
وماله زُرُّ الغيابِ يدور في ثقبِ الدّهورِ؟!
ضدّي الأصابعُ حين تلتئم بعضها،
ضدّي الشّفاه على تمازج ريقها،
ضدّي عروسٌ حين أطحن قمحها،
ضدّان: أنتِ وحائكُ الأشواقِ في توتِ السّريرِ.

غيبني إذاً،
كي أعشقَ الحلمَ المطوّقَ بالجسد،
كوني إذاً،
كي أكره النحلَ المعسلَّ في الزيد،
غيبني قليلاً،
واربطيني، أقطف الكرزاتِ من حقل الأبد.
كوني قليلاً،
واتركيني ساعة فوق السراب،
تعبُ منك دوائر العمر القصير.
غيبني إذاً،
كوني إذاً جدوى لصدّ،
لا تؤطّره العبارةُ بالغياب وبالحضور.

**

ذاكرة الضد

مفردٌ مفردٌ كورقة توتٍ	حملتها الزّياحُ للأنواءِ
أتقرى صلابة الأرض كي	أبتكر الخيط في سدى أشيائي
فأراني كناية الخيط شدت	لأقاصيه إبرة الإعياءِ
وأراني على الرّمال غديراً	عاجزاً عن تلاوة الصّحراءِ
كم غموضٍ نسجتُه بعيوني	فارتداني الوضوحُ ثوبَ عماءِ
كم لبستُ الثّقابَ حالةً صحوٍ	وجعلتُ الصّمتَ الطويلَ غطائي
كم وكَمَ جاذبتُ ظباءَ سهامي	فدخلتُ السّهامَ خلفَ الظّباءِ
ومن الكشف صار حالي جسوراً	لعبور الأموات والأحياءِ

لستُ غيماً لكنني نبعه الأؤ ولُ يُنداح من عيون الماء
لستُ جمراً لكنني النار في حجرة روح تمتد للأعضاء
وأنا الآخرُ الغريبُ أنا غيرِ حضوري بحضرة الأسماء
وأنا الآخرُ الأليفُ أنا كرزة ضوءٍ حميمهُ الظلماء
حيّزي أن أعلقَ الذاتَ بالتد ففسيرِ حتّى أفيضِ دونِ دلاء
حيّزي أن أكونَ معجمَ سَمع فخطابي الكيفِ شمسُ ندائي
متعّبٌ متعبٌ كعصفورة في كوةِ الدهرِ دونِ غصنِ هواء
أشتهي أن أضمَّ نجمةَ نأى لأحسَّ الحنانَ في الإدناء
أشتهي أن أشمَّ وردةَ بَوحِ لأطيلَ الزَّبيعِ بالإصغاء
أشتهي ضدَّ ما أريدُ فخبزي فَمَحُ يَأسي مَقَطَعُ برجائي
ماتتِ البيغاءُ، كنتُ مريضاً لیت صوتي مقلدٌ لدمائي
ليخيطَ الكلامُ ثقبَ وجودِ دخلتُهُ الأحلامَ زرَّ بقاء
هكذا أكتبُ النُّشورَ لكي يُعد لن قبيري قضى من الشَّعراء

ذاكرة ليلى والذئب

ليلَةُ الأنيابِ طالَتْ،
وقطيعِ الجوعِ في أبعدِ فجرٍ لا أراهُ.
جسدي كالبيئرِ جفَّتْ،
ودمي حيَّةِ جمرٍ،
تتلوى في مدها.
كلُّ كوني حالةُ القنصِ
وحيداً أتمشَّى في البراري،
أحسنُ الشَّمِّ وعضَّ الرِّقبةِ البيضاءِ والرِّكضِ إلى النِّجمِ
وتقطيعِ ضيائه.
كلُّ ما في ظنونٍ:

هذه الشجرة سلمى،
تلك قرب السور ليلي.
فطرة القتل تنادينني إليها،
ولسينات دمائي تنشهي شفتيها.
هاأنا كالسهم أنقض عليها،
وأعيد اللحم للحم،
أعيد الضلع للصدر،
وأقعي مثقل البطن بحلواها ونجواها
وشمع الفرع المصهور في نار صراخي..
ما الذي غيرني بعد امتلائي كشقوق الأرض بالماء،
فأصبحت جميلاً؟
ليلة الأنياب صارت بابتساماتي نخيلاً،
وصفير الجوع موسيقاً،
وعرس الذبح قداس،
وقلبي خفة الشهوة أضحي بالفراشات ثقيلاً.
تلك ليلي لم أزل أرضعها قتلاً وحباً،
تلك ليلي لم تزل تُرضعني شعراً وخصباً.

ذاكرة الأرنب

أرنبُ قال للسَّلحفاةِ:

. انتصرتِ عليّ،

فقالَتْ لهُ:

. بل هُزمتِ،

وما الفرق بين الهزيمة والانتصار؟

تعجَّبَ.

قالَتْ:

إذا انتصر الشَّهداءُ يموتون جوعاً،

وحيث الهزيمة ينتحبونُ.

أرنبُ قال للسَّلحفاةِ:

. تعلمتُ منك البلاغةَ والرَّكضَ،

هل سأغيِّر قصَّتنا في الكراريسِ

حين سأسبق نصّاً،

يكرّني للجنون؟

**

ذاكرة مدرسية

استفاد الطّفْل من عَفْلَة أستاذ الحساب،
أرْجَع الصّفَر إلى الخلف قليلاً،
ورمى الواحد من نافذة الصّف إلى كيس الضّبَاب،
ومحا الخمسة،
صارت ورقة الدّفتر بيضاء كما الجبنة،
جاء الفأر ثمّ القط،
جاء الكلب ثمّ الذئب..
أين الأرنب الشّاطر؟
صاح الطّفْل:
. يا أستاذ، في ثقب الجريدة،
غضب الأستاذ من صوت الحكايات البعيدة،

عاد للضربِ وأخبارِ المباراة الجديدة.
انتهى المشهدُ،
عاد الطفلُ مقهوراً إلى البيتِ،
رمى الدفتز في كيس القمامة،
ثمّ جاء الأرنبُ السّاحرُ،
أعطاه غراباً، دون أن يُخرج من قبعة الوقتِ حمامةً.
كبر الطفلُ على قشّ الكراهية طيراً،
يجهل التّفسيمَ والطّرحَ
وجمعَ الرّيحَ والرّوحَ وتفسيرَ الغمامة.

**

عرجاء تركـل باب المعاني

أبدأ الكلماتِ بما تركته القصيدةُ من أسئلته،
قهوةٌ ودُخانٌ،
صباحٌ نديُّ المخالبِ يَخمُشُ أذني،
ويغسلُ سكّينه بالكآباتِ قبل التّوغلِ في جسدي المتكاسلِ،
تخرجُ منّي قِطاةً،
تعضُّ الوسائدَ،
كيما تفيقُ الشّمسُ اللّواتي غفونَ على مقلتيّ.
. أحبُّكَ!..
أغلقُ جراحك،
كي يسكن النّحلُ فيّ،
وعلقُ دماءك قرب غسيلِي،

لأمسك أشعارك النازلة.
تستكين إليّ،
تدير خيولي إلى العربات،
فأبدأ يومي الجديد،
وأدفع ريح الرّوى المنقّلة.
أبدأ الكلمات ينثر التسكع في حمص قبل الظّهيرة:
موج ثقيل،
مراكب موز،
سلالات تين،
كآبات نهر،
بخور زمان عتيق،
نساء من الفضة الخاملة،
كرنفال ثياب،
مواكب موتى،
رصيف من الكتب البائسات،
حديقة سأم،
تهوم في عجل الكائنات،
عقارب في الرّصد،
(وعرّ) (1) تآلف كالقَطّ،

شرقٌ تكاثر كالتَّمَلِّ،
ليلٌ طويلٌ على الوزنِ،
شمعُ القوافي يغطِّي الملامحَ،
كلُّ الوجوه دمي مقفلةً..
للدراويش بعض التَّميِّز في منزل الله
حيث يصفون جنَّ الإشاراتِ،
كي يعبر النَّاسُ.
ماذا يصفُ الدَّراويش في حِمصَ غير المناديلِ،
تطوي المدينة طيًّا بأكفانها الهادلهُ؟
أبدأ الكلماتِ بما حملته القصيدةُ بعد الرجوع من السَّوقِ
عرجاءَ،
تركل باب المعاني،
فيسقط حِمْلُ الكلام بسوائته الموحلهُ:
حِمصُ طميِّ البراكينِ،
أحجارها السَّود مكتلهةُ!
أبدأُ الكلماتِ بما كتبتَه القصيدةُ عن نفسها:
أينما كان أجملَ: أنتِ أم الشَّعرُ،؟..
فوق أكفِّ بلادٍ حملتَ لها الأَس من حِمصَ،
لم تكترثُ،

قَبْلَتَاكَ،

دَعْتِكَ إِلَى الْحَبِّ وَالْفَنِّ وَالْمَطَرِ الْمَتَسَاقِطِ مِنْ كَفِّ (رَابِكَا)

الْمَعْلُوقِ فِي السَّرْوِ،

قَلْ : أَيَّنَا كَانَ أَجْمَلًا؟..

تَذَكَّرُ صَمْتَ الْمَتَاحِفِ؟

كَمْ تَحْتَ جِلْدِي بَكِي حَجْرٌ تَدْمِرِيٌّ،

فَغَنَيْتِ صَحْرَاءَكَ الْمَسْتَحِيلَةَ؟

تَذَكَّرُ صَمْتَ الْكِنَائِسِ؟

كَمْ رَفَعْتِكَ التَّرَاتِيلُ نَحْوَ الْأَذَانِ،

فَغَنَيْتِ، غَنَيْتِ حَتَّى النَّفَّعِ،

ثُمَّ عَبَرْتَ الْبَحَارَ،

خَلَعْتَ الْوَصَايَا،

لَبَسْتَ الْقَرْنِفَلَ فِي زَحْمَةِ النَّاسِ،

فَاقْتَسَمْتَكَ الشَّوَارِعُ،

وَأَنْتَظَرْتِكَ الْقَطَارَاتُ..

قَلْ : أَيَّنَا كَانَ أَجْمَلًا:

صَوْرَتِهَا فِي الْكَرَارِيسِ، أَمْ كَفَّهَا تَحْضُنُ السَّنْبِيلَةَ؟

أَخْتَمَ الْكَلِمَاتُ بِمَا رَدَدْتَهُ الْحَبِيبَةُ:

أَتَرَكَ خَرِيفَ الْقَصِيدَةِ،

واعصرُ ثماري،
سندخل في ضدنا،
لنؤلف طفلاً،
إذا اتضح الموتُ طار لأفق المدينة، كي يمسك المقصله
يهزأ الشَّعر من صورة العائلة،
وأكون أنا الطَّفلُ،
طفلي يكون أنا.
هكذا أتكرَّرُ:
ورد يقيني يكرَّر شكِّي،
وشكِّي تويجاته ذابله.
هكذا خلسة بهدوءٍ وحريةٍ أتجول عبر المدينة،
أصحب قطاً،
وأسأل عصفورةً عن بريد الأحيّة،
ثم أعودُ إلى الشَّعرِ،
والدَّود يأكل كفِّي على الطاولة.

إشارات:

(1). الوعر: حي محدث من أحياء حمص.

(2). رابكا: منطقة جبلية في بولونيا.

حجر النسيان

حجر النسيان مُلقَى قرب أشيائكِ،
والليلُ يغطّي الحجرَ الباهرَ،
لا تتبعدي عنه،
لئلا يسقط الليلُ بأعماقي،
فيحتاج الألقُ،
واتركيه ملكوتاً مفرداً،
يأكل ما يأكل منّي.
هو لا يذكرُ أنّي أمس قبلكِ،
حوّلت شفاهي لخيوطِ،
ثمّ من جلدك فصلتُ الشفقَ.
هو لا يذكرُ أنّي أمس جمعتُ خيولي،

ثم داهمتُ سياجَ الصّدرِ،
أطفأتُ على السّورِ المصابيحَ،
وأعلنتُ انتمائي لدمِ الحلمةِ،
واصلتُ امتزاجي بك كالحبرِ بماءٍ،
ثم واصلتُ الغرقَ.
حجر النّسيان لا يعرفُ أنّ الشّاعرَ الجالسَ في العتمةِ تلميذُ
الحبِّقِ،
يتهجّى عطره مثل كتابٍ دون أن يخطئ حرفاً،
علّه آخر سطرٍ يتناهى حجراً حيّاً،
يؤاخي الحجرَ الميتَ بأشلاء العبقِّ.
حجر النّسيانِ مربوطٌ إلى السّقفِ ثريّاً،
تقبس الضّوءَ من الشمعةِ في كفيكِ،
لا تقتربي منه،
لئلا يسقطَ الضّوءُ بأعماقي،
فيحتاج الظّلامُ.
كلّما جنّتُ إليه،
أتملّى صورةَ الكوكبِ في أقدامك الخضرَاءِ،
تجتاح سيولٌ كلّ ما أبصره،
تهوي المجرّات على البلّورِ،

تساقط عين الحجر الباكي،
ولن أقدر أن أرفعها.

هذا أنا وحدي أمام السحرِ مرشوشٍ بماءِ الزهرِ
موعودٌ بجنّاتٍ،
إذا أعطيتُ تفسيرَ التّماهي فيك،
حجرُ النّسيانِ في الموقدِ يَظي
بشعاعِ غامضٍ مثل انقسامِ الشّمسِ،
بالجمرِ يشقُّ الصّدرَ.
ماذا في دمي غيرُ الرّسائلِ؟
افتحها تجدي المرأةَ خيالَ سفَرٍ،
ويدي تلجمه،
كيما تعيدَ الفرسَ الرّعاءَ للماضي
لسجنٍ من حكايا وصورٍ.
حجر النّسيانِ لا يذكرُ أنّي منذ شاهدتكِ صلّيتِ كثيراً،
لتكون الأرضِ . إذُ تمشينَ . لي وحدي،
وأثوابك لي وحدي،
وتابوتك لي وحدي،
وأني منذ أحببتكِ صاحبتُ الزّمانَ.

حجر النسيان في كلِّ مكان،
حجر النسيان في الحبر وفي الدفتر
في الإبريق في قارورة الزيت وفي العطر...
تعالى نخرجُ الأحجارَ من مكنها الدهريِّ،
كي نستبقَ الموتَ،
ولا تكثرني بي.
إن تطلعتُ بعينيها،
فخلف الباب حوذيَّ ينادي:
عمّ صباحاً،
أيها الشاعرُ،
يا فاتنُ،
يا ظالمُ،
هاتِ الحجرَ الميِّتَ،
لأعطيكَ الأمانَ.

**

ندم الثلوج غربة الرمال

تفتحين كوردة الذكرى،
فألبس قامة العشق المحنّة الأصابع بالقبّل،
وأعود أنزع شوكة،
أدمت عيوني، ظامناً لحكاية العشاق.
كم رفعت أغانينا اليدين إلى سماء،
جرّيت أن تدخل الأرواح ناموس الرضا،
فتأففت.
لا شيء يرجى،
والمدينة أقرت،
ناطورها الشعري لم يعرف موازين الولادة،
فابتعدنا،

واقترينا،
تذكرين؟..
حمامتين من التّوجع ترعشان،
ولم نزل.
حين التقيتكِ كان تشرين الخجولُ
طيفاً على الجدران،
يرقب فائض السّاعات،
كان يضيء فانوسَ الرّحيل،
ليفتح الباب المسمّى عرسنا.
كنا التقينا،
كان كانون المعلق تحت نافذة الغيوم غطاءنا،
كنتُ احتضنتكِ،
وانتهبتكِ،
وارتسحتُ إلى قرارك.
حين جاء الصّيفُ لم نعثر على أثر،
يقود جمارنا نحو التّوهج،
فاقترينا من ندى الكفين،
نبحت فيه عن سمكِ،
يؤانس بحرنا.

كنتُ اشتهيتك أن تكوني لؤلؤة.
في العمق تحت الرَّمْلِ
أدعوها بأشعاري،
فتخرج كالشَّعاع إلى جبيني.
كنتُ اشتهيتك أن تكوني جرّة في الغيم،
أُنزلها،
فيملوها حنيني،
كنتُ اشتهيتك أن تكوني غابّة عذراء،
أدخلها وحيداً في ليالي الثلج،
أحفر حبناً فوق الجذوع بنجمة،
وأنام في صيف الجنون.
الذّكريات تهبُّ من جهة الرّمال،
تكاثفتُ فوق تويجات الحجارة،
أنقذيني من تطلّع وردة نحو التّوجّ،
تبَلّلتُ كلّ الرّسائل بانتظارك،
أين كنتِ؟
تجمعتُ سفني على الخلجان أعواماً،
لتحملني إليك،
وأنتِ في الأفق البعيدِ سحابةً،

تتأى بأمطار اللّقاء،
مللت من عشاقك الكثر،
احتميت بقبضة النّوم الهنيء،
لكي تردّ بروقهم،
وزرعت داليةً من البلّور،
كي تبكي الكواكب،
وأنا أقبل ياسميناً تحت إبطيها،
وأوقن أنه إير، تمرّق في أشرعة المراكب
عذراً لأنّي لم أحبكِ
منذ أن فاضت نهوري،
لم أضمّكِ
منذ أن كبرت شموسي،
لم أشمّكِ
منذ أن بزغ القرنفل من نهودك.
كيف أبتكر المعاني الآن،
كي تنسى القسيمة أنّها حملت سواك؟
الجرح مفتوح كنافذة،
يغطيها أساك.
الجرح مفتوح،

وعبر شقوقه تتسلل الأحلام نحلاً.
كيف أشرب من نداك؟
الجرح مفتوح،
ولم أعتز على امرأة سواك،
تقوى على حب، يعدبها،
ولم أعتز على امرأة،
تخيط جراحها بأصابعي،
وتخيط لي ثوباً من القبلاتِ مكتملَ الهواجسِ
ناقصَ الأوهامِ
مفتوحَ الرّحابةِ
مغلقَ الأيامِ في زرّ المحبّة.
فلتعدريني..

كان وحي القلب في بلد التّلوج مخاتلاً،
جرّ الحمام إلى كهوفي،
ثمّ أكملَ في ذبحه،
ولتفهمني، منذ أن صُلبتَ عيوني في بلاد التّلجِ
لم أقرأ كتابك دون غربة.

الشاعر

... وعلى الشاعر أن يكتب شعراً،
وعلى الشاعر أن يفتح عينيه لضوء الفجر،
أن يصرخ قبل الديك فوق السور،
أن يسقط أهداب حصي فوق الشبايبك،
وأن...

وعلى الشاعر أن يدفق بالحب،
كما يدفق وقت من ثريات الزمن،
وعليه لبس شوك الشعر في كل حريق،
ثم أن يدفع بالماء نواعير الشجن.
ليس بالشاعر من يمسح كفيه بسكين الورق،
ليس من يذهب للنزهة في البستان،

والمرأة صَبَّارٌ على سورِ القلقِ.
ليس من يمدح أعشاباً،
وعشبُ الرّوحِ موطوءَ الورودِ،
ليس مَنْ يَجْرِشُ مَوَالاً على قبرِ الجنودِ،
ليس مَنْ يصنعُ أختاماً لأوراقِ التّشديدِ.
من ترى يصعدُ غيرُ الشّاعرِ الطفلِ أراجيحَ الرّؤى،
يقرأ مأساةَ الينابيعِ التي جفّت وراءَ الكونِ؟..
هل يسقطُ منطاداً على حقلِ مياهٍ؟..
ربّما يسقطُ كالفكرةِ في نبضِ الحديدِ،
يركضُ الشّاعرُ ميلاً،
ليرى كيف يجزُّ البرقُ نعاغَ الدّماءِ،
يركضُ الشّاعرُ ميلينِ،
فتساقطُ من عينيه أقمارُ النّداءِ،
يركضُ الشّاعرُ أميالاً،
يغورُ القلبُ،
ها شمسٌ على ميزولةِ الرّوحِ،
وها ظلٌّ عظيمُ الصمتِ، ينداحُ مع الشعرِ المضاءِ
كذئابِ الأرضِ، يعوي الشّاعرُ الزائفُ
قربَ النّعشِ والدّبكةِ

قرب الوردية الحمراء
قرب الخوف أن تأتي كلاب الصيد بالتأبوت.
لا بأس..

يصير الشاعر الزائف طيراً،
ينقل الطين إلى قمع الصراخ البشري،
وعلى الشاعر أن ينسى الغروب الأبدي،
حلمة الشاعر إبريق شروق،
تسفح الماء، علينا أم عليه؟
وعليه ترك طفل الشعر
حين الطفل لا يقوى على ترك الثدي،
وعلىنا حك ظهر الشاعر النائم
إيقاظ السحابات
وجر الشعر من شعره،
كي يركض في الحارات،
كي يلتقط الشوك من الجدران واللؤلؤ من عرس دماء
ونساء خارجات بمصاييح من الحرمان،
يُعلي قمرًا حرفاً فحرفاً فوق جرف لغوي.
هكذا الشاعر فرد،
يتمشى ضاعطاً جرحه بالملح

ومربوطاً إلى الكون بأحداقِ نبيّ.
ليس بالشاعرِ من ينظّمُ حَبَّاتِ التّفاعيلِ
على الأوراقِ شطراً ثمّ شطراً،
ليس من يسنّدُ بالتّفعيلةِ العرجاءِ جسراً،
ليس من يُركبُ للنثرِ قروناً،
كي يصير الشعرُ ثوراً.
وحدهُ الشّاعرُ . إن كان أصيلاً .
يلبس الأحراف طيناً،
فترى في كلّ ما يكتبه قرّاً نشيدٍ،
ترتديه الرّوح سرّاً.
ليس بالشاعرِ من يربطُ شكلَ الموتِ بالشكليّ
والقفزَ انتحاراً من خواءِ الطّابقِ العاشرِ بالنفسيّ
والتّدخينِ والخمرةِ والمرأةِ بالنّوريّ.
الشّاعرُ بالشّعْرِ طريّاً كخدودِ الطّفلِ
صُلْبُ كعيونِ الماسِ
دفاقٌ ومدفوقٌ بعطرِ النّفسِ
سبّاقٌ ومسبوقٌ
بأرتالِ ضبابٍ وتويجاتِ حضورِ
وحضوراتِ غيابِ أزلّيّ.

**

لأنني أحبها

لأنني أحبها،
أزيح عن أقدامها شوك التعب
وعن شفاهها ضمادة الغناء.
لأنني أحبها،
أعصر شعري من عناقيد العنب،
وأسكّر الأوراق كي تنسى الخواء.
مخلد بها،
قصيدتي بها مخلدة،
وكل ما أكتبه يسيل من عيونها،
وكل ما أشربه يفيض من وعائها،
وكل ما ألمحه حمامة على يديها بالرؤى مفيدة.

لأنتني أحبُّها،
أذوب كالأزهار في شمس العسل،
أشفُّ حتَّى تطلعَ الأنهارُ من لمس الأكفِّ
والنهارُ من عشيَّات القبل.
كأنتني نايٍّ لموسيقا الجمالِ،
والذي أعزفه يلوّن العينين بالخيالِ،
يَعجنُ الهواءَ بالظلالِ،
يسحبُ الهلالَ من شقوقها،
لترتوي الدماءُ كلِّما اكتملُ.
كأنَّها خلاصة الطَّبِيعَةِ المَعْتَقَةُ،
ريانةٌ فياضةٌ بالحبرِ ليستَ مغلقةً،
أحبُّها،
لأنَّها قرينةُ الخلودِ،
في فنائها مغلقةٌ!

**

من أجل عينيها

من أجل عينيها ألمُّ الورد من بستان قلبي
في الصباح،
وأفركُ الأوراق بالأحداق.
كي أنسى تخدّر ساعدي بدم الحمامة.
من أجل عينيها أضيءُ الزيت في المصباح،
أتركه على الشبّاك،
أعلنُ حالتي بالكشفِ منداحاً كطوفان إلى الأعماقِ
حيث فطيرة الأشياء تنضجُ،
قمحها ما زال غضّاً،
والطّواحين التي ابتكرتُ تئنّ،
وليس من خبز سواي،

يئنُ في فرن الندامة.
من أجل عينيها أدوخ طفلة الأحلام
في أرجوحة الغيم
الذي يسعى إليها،
وأسيرُ كالأطفال في قصص عن الخفّ الذي يمشي إليها،
وأعدُّ كالأطفال مائدةً،
لكي تأتي إليها،
وأنام كالأطفال في حلم عليها.
من أجل عينيها يخيل لي بأنّي قطعة من دمية،
أحتاج لولبها،
لأصلح ما تكسّر من دمائي.
آن ألقاها سيصبح معدني المهجور ريحاناً،
إلى الآبار يسعى،
كي تفيض الأرضُ.
كلُّ أصابعي مطرٌ،
وأعمائي غمامةً.
من أجل عينيها سأنزلُ،
كي أمشّطَ شعرها،
وأعيد ربط حذائها،

وأمدّ تحت ثيابها جسراً،
لأصعد فيه مرتبة القيامة.
من أجل عينيها يحبّ الليل أن يمحو ظلامه،
وأحبُّ في الليل الطويل قصيدةً.
من أجل عينيها تغشّ الشمس،
كيلا أستفيق على الأسى.
النأي تابوتٌ بأعماقي رسا،
وأنا أحاول جاهداً أن أكسر التابوت،
ليتك في أكفي،
كي أحاور حلقة الخشب الغشيم بخضرة الميلاد فيك
(وليتني نفس تموت جميعاً
لكنتني نفسٌ تساقط أنفساً)⁽¹⁾
سأعيد كلّ قصائدي للصفر
عمرى للولادة
إصبعي لفمي...
وألثغ باسمها،
وأضمّمها، لتكون لي وحدي.

(1) من شعر امرئ القيس.

على البلّور شمّسك لم تزل تصغي إلى قلقي الهنيء
وفي المقاعد عطر ثوبك جالس،
ينهى عن الظلمات،
في علب الهدايا خاتم،
يحتاج إصبعك الصّغير،
وفي جميعي أنت،
فيروزٌ تغني للغياب الموجع
من أجل عينيك القصيدة أثقلت بشهادة النّفّاح
أنك بذرتي،
وشهادة الأشجار أنك غابتي،
وشهادتي أنّي بصوتك قد ثقبت الشّعْر،
فانسفتُ رؤى خضراء
(ذات تمنع وترفع)⁽¹⁾.

**

(1) من ابن سينا

من أوراق الحلول

(1)

رمانٌ وحدتنا تحلّى بالغياب،
كنا اجتنيناهُ من الحقل البعيد،
أتذكرين اللّهَ في البستانِ،
قطفَ الجوز بالأحجارِ
إمساكَ الفراشِ ولصقه فوق الدفاترِ
امتطاءَ السورِ والتلويحِ بالمنديلِ إذ يأتي القطارُ؟
أتذكرين؟
كعادة الغرباء في اللّيل الغريب تسافرين،
وتتركين على الرّصيف فراشة القبلة،
يعلوها الهباب.

(2)

لا ليس وهماً ما أقول،
لا لستُ أبْتَكُرُ الرؤى،
كيما أفتش في المعاجم عن دمي،
فقد افترضتُ بأنني زرُّ لصدركِ
معطفٌ لشتاءِ روحكِ
جمرةٌ لصقيعِ جسمكِ...
منذ معرفتي بصوتكِ صرتُ خطاباً من الكلماتِ،
أقتطعُ الفصولُ،
بل صرتُ أمياً،
أقول الشعر بعد هطوله من غيم أنفك في مناديل الحول.

(3)

مُلئتُ كؤوسي بالسرابِ،
فابتعتُ خابيةً،
أخمرٌ لوعتي فيها،
فكان الخمر حلواً،
لا لأتُك في العناقيد التي خمرتها،
لكن لكونك في عناقيد الغياب.

(4)

وإذا رحلتِ،
تركت لي بيتَ المجرات القديمة.
وإذا نأيتِ بكوكب الجسد البهيِّ
عن التصادم بالنيازكِ والمواعيد الحميمة،
وجررتِ خلفك كلَّ وردِ الأرضِ،
كي أشقى (بجمص) بأسها وأناسها
ووضوح بوصلة الفراغ إلى صحاريها العظيمة.

(5)

في الفجرِ أحسستُ الهواءَ الحلوَ،
يدخل من شبابيك الجديلة،
فنهضتُ للشّاي المعطرِّ بالصّبّاحات الجميلة،
فرايتُ فوق الكأسِ أحلامي تذوبُ،
وخاتمَ الحزن العظيم يشقني فوق الجبينِ،
وكنتِ إصبعه النّحيلة.
لم أكرث للحظة السّوداءِ،
أشعلتُ اللّفافة،
ثمّ شذبتُ الحكايات الطويلة،

لتليقَ بالعمر القصير حكاية الأنثى التي زرعت نخيله.

(6)

متصالحاً جئتُ المكانَ،
أشمهُ،

وأزيح عن فمه القصيدة.

ها أنتِ حاضرةً بهِ،

من كلِّ شقٍّ تطلعينَ،

من المرايا والمقاعدِ

من رفوفِ المكتبِ المهجورِ

من رفاً البهار ومن دم البلور، ينزف حالماً فوق الجريدة.

ها أنتِ بالقبل الصَّغيرة تركضينَ وراءَ طفل البيتِ،

ها قلبي يئنُّ من النَّهايات السعيدة.

متصالحاً جئتُ المكانَ،

وكنتُ في شوقٍ،

لأزرع وردةً،

لكنتني كالشمع ذبثُ بجمر سيدتي البعيدة.

(7)

وكأنها حُلْمٌ ببال البحرِ يخرج صَدْفَةً، وكأنني الشَّطَّانُ
وكأنها موجٌ يبئر الروح يدفق فكرةً، وكأنني النسيانُ
أحتاجها كيما تكون، ولا تكون، أنا الدَّمُ العطشانُ والزَّيَّانُ
أحتاجها حتَّى أصاحبَ نجمةً، فيضيء في ليل الرِّمان مكانُ
أحتاجها حتَّى أراقص وردةً، فتسيل من سقف الحنين جنانُ
أحتاجها حتَّى تغيب، فترتدي ثوبَ الغياب قصيدتي فتصانُ

**

شاعرة

شَعْرُهَا أَحْلَى مِنَ الْغَيْمِ الرَّبِيعِيِّ،
وَعَيْنَاهَا عَصَافِيرُ تَرَاءَى فِي ظِلَالِ الْمَشْهَدِ الْمَقْتُولِ،
كَفَّاهَا ارْتِجَافُ السَّرْوِ،
نَهْدَاهَا سَلَالٌ،
تَمَلُّهُ الرُّوحَ بِأَعْنَابِ الْحِكَايَةِ.
هِيَ مَنْ يَرِكُضُ،
كِي تَلْقَى سَرَابًا،
هِيَ مَنْ تَنْبُتُ،
كِي تَبْقَى أَحْتِمَالًا،
هِيَ مَنْ يَقْفُزُ فَوْقَ الشَّجَرِ الْمَحْرُوقِ،
كِي تَقْطِفَ أَشْوَاكَ الدِّيَاجِيرِ،

وكي تهدم حانوت الوصاية.
إنّها الأجلُ من شمع تلاوتِ على كَفِّ مسيحِ،
إنّها الأقدس من وردِ ذبيحِ،
وهي الأقوى،
بلا هندسةٍ أعلنتْ جسورِ الحبرِ في ماءِ القلقِ،
تحضنُ الفكرةَ كالطفلِ،
تعريها من الأسماءِ،
قد تمسحها بالزيتِ،
قد تلبسها ثوبِ انتظاراتِ،
وقد تلقمها ثدياً،
وتغفو قريبا فوق الورقِ.
من يغنيها سواها؟
امرأةُ المعبدِ في طقسِ الأرقِ،
شجرُ الغبطةِ في حقلِ رمادِ،
وأساطيرِ لقاحِ وجراحِ،
تتزفُ الشمسُ على فطنِ الشفقِ.
أيها العاشقُ،
قد يسلكُ دربُ اللغةِ الممتدُّ كالحلْمَةِ في سهلِ نشيجِ التوتِ،
يا عتابُ،

فلتقطفُ رحيقَ الجسدِ المفتضِّ بالوزن
وبالنَّثرِ وبالإيقاع...
هذي رقصةً أخرى،
وهذي امرأةً أخرى من الإيغالِ في المنبرِ كالسَّهمِ
وفي السَّهمِ كما الطَّيِّبةُ،
هذي هالةٌ أخرى من الأفلاكِ
تساقطُ أبراجاً من المعنى لتأسيسِ البلدِ
أيُّها النَّاقِدُ،
لا تبحثُ كثيراً.
قمرٌ يطرحُ طفلاً،
شجرٌ يحجزُ نهراً،
ويُدُّ تغرسُ رمحاً في الدَّمِ المالكِ،
أخرى تحتُمي بالبرعمِ الطَّالعِ من وردِ الجسدِ.

**

غصن الأرق مشمش الخيال

... ويجيء الليل مصداقاً لما قيلَ
بأنَّ الأرقَّ الأسودَ فانوسٌ على رفِّ البكاءِ
والدمُّ الأسودُ في الفانوسِ يمتصُّ حليماتِ الرِّجاءِ
والشرايين التي كانت بحبرٍ تتلظى
صارت الآن تضحُّ الشوك في جلد الهواءِ.
وحدة مترعة العينين بالأصداءِ،
تمشي في الدهاليز كنملٍ،
صيفه في الورق الحائرِ،
هل يأكل قمح الجسد الغائبِ،
أم يدفن حزن الرّوح في وكر الشّتاءِ؟

وحدةً مشدودة الأسوار بالأسلاك،
كيلا أفتح الباب على الماضي،
وكيلا يدخل الحاضرُ.
ما جدوى انتظاري لخيولٍ،
واعدنتي الأمس أن تحمل رصداً،
يرجع العاشق للمعشوق؟
لا أقدر إلا أن أناديك من الغيب:
تعالى نشرب القهوة في الصبح،
تعالى نتجاذب بغيابٍ وحضورٍ
برداءٍ وعريٍّ
وهواءٍ واختناقٍ
وانقطاعٍ واتصالٍ
وتعالى . يئسها المرأة . للشعرِ ،
لكي أعصرَ من مشمشك البريِّ جرّات خيالٍ .
أنتِ ما أنتِ ،
لكي أشقى بكِ؟
أنتِ ما أنتِ ،
لكي أحيا لكِ؟
أنت أنفاقي إلى الجنّة والنارِ ،

وقد أرهقني تفسيرُ حالاتك،
أنت الشَّجَرُ المحروق والأخضرُ،
أنت الوترُ المشدود والمقطوعُ،
أنت الكرزُ النَّاضِجُ والحامضُ،
أنت البرعم الظَّاهر والباطنُ...
أحتاجك في كلِّ التَّأويلِ،
لكي أعرف نفسي.
كلُّ أعضائي شلَّتْ،
وعيون الماء غارتُ،
وبذور القمح ماتتُ
منذ أن غادرتِ شمسي،
فارجعي لي، يثُّها المرأهٗ،
كي أغفو كما الطَّير على عشبك،
أرتاح قليلاً،
ثمَّ أقتات قليلاً زعتر الحبِّ بزيتِ،
سال من يأسِي.
ارجعي لي.....

**

إيقاع

الوحدة المكسورة⁽¹⁾

أشـتاق إليها في الغيبةِ
أشـتاق إليها في الحضرةِ
أشـتاق كثيراً في جسدي
ريشٌ مجدولٌ من عزلةِ
فأطيرُ، أطيرُ أعانقها
مختفياً في ماءِ الغيمةِ
عطشانُ أفكّرُ ينبوعاً

(1) وهو مكسور حقاً، لأنني في التفعيلة الأخيرة من الشطر الثاني التزمت بـ(فاعلن/ه//ه) بدلاً من (فعلن//ه).

جَسَدِيْ أَلْتَمَعُ بِالْقُبْلَةِ

يَا وَجَعِي أَنْتِ وَيَا سَهْمًا

يَطْلُقْنِي فِي عَتَمِ الْغُرْبَةِ

أَحْتَاجُ غَزَالًا مِنْ نَوْرِ

يَتَرَاكُضُ فِي شَقِّ الْعَتَمَةِ

أَحْتَاجُ رَحِيْقًا مِنْ ثَدِي

يَتَقَطَّرُ فِي حَالِ الشَّدَةِ

أَحْتَاجُ إِلَيْهَا تَسْقِيْنِي

أَنْخَابِ الْكُشْفِ بِلا خَمْرَةٍ

يَا بِالِ الْأَوْراقِ اشْتَعَلْتُ

يَا بِبَالِي يَا حَبْرَ الْجَمْرَةِ

نِيرَانِكَ تَدْخُلُ ذَاكِرْتِي

كَدُخُولِ الْمَاءِ إِلَى الْبِنْدَةِ

يتمنى جسيدي أن يهبطاً
كي يسرق أضواء الجنّة
لكّتي وحدي خشبيّ
كالعود أئن من اللّمسّة
وحدي أت نفس ودياناً
وحدي في المقعد والظلمة
صديّ وخيولي مقفلة
جمّدها البرد على الشّرفة
أحتاج لسياك يا نهراً
كي أهدم أسوار اللّهفة
أحتاج لضوئك يا شمساً
كي يطفح طينى بالخضرة

شِعْرِي قَنَدِيلٌ ضَاوَاهُ
قَمَرٌ يَتَرَنِّحُ بِاللَّوْعَةِ
جَسَدِي كَلِمَاتٌ أَشْعَلَهَا
شَوْقُ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْمِرَاةِ

غِيَابُ الْأَصَابِعِ

... وَإِذَا يَجِيءُ الشُّعْرُ مَتَّشِحاً بِصَوْتِكَ،
أَجْلِسِيهِ عَلَى الْمَقَاعِدِ،
كِي يَرَى الْحَبَّ الْمَعْدَبَ.
وَإِذَا يَجِيءُ الشُّعْرُ مَنُغْلِقاً بِشَمْسِكَ،

افتحيه على الدفاتر،
كي يطير إلى حروفي ألف كوكب.
وإذا يجيء الشعْر متصلاً بغيمة،
اسفحيه على سياج غيابنا،
ليصير ماءً الروح أعذب.
كم أنتِ حاضرة بكل قصيدة!
كم أنتِ غائبة!
على الكرسي أكوام المجلات القديمة،
فوق مكتبتني احتراق غامض للظل،
نمل في الزوايا،
في الممرات احتضار الورد
والصمت الذي فاضت به الجدران،
يعوي مثل ذئب في العماء،
فأين كفك، تستريح على جبين الدار؟
أين غدريك الأزلي، يدفع بالصنوبر في دمي،
لأفيض بالأكواز والصمغ المعطر للرسائل؟
لا شيء يؤلمني سوى أنني بريد، قد يسافر،
فلمن أبرعم هذه الأزهار في شجر الكتابة؟
أين أنتِ؟

وكيف أعصر من بذورك قوتي،
بل أين قلبي؟
أخرجيه من الحقيبة،
أرسله إلى ضلوعي بالبريد،
وجمعي القطرات،
كي يحيا من الدّم المكابز.
لا شيء يؤلمني سوى أنّي وحيد،
لست أقوى أن أزيح الصّمت عن هذي السّنائز.
أحتاج ضحكك الجميلة، مترعاً بخيولك البيضاء،
نحو الحلم أصد،
كي أعود إليك بالأسرار.
هل ربّما أحتاج ما جاءت به الأسفار:
"الحب فقدان الحبيب
وخاتم الأحياء موت
المرّ ميراث الرّيب
ودودة الزّيتون زيت"
وأضيف . كي تلدّ القصيدة فارساً، تتفألين بقوسه المشدود
نحو القلب .
أنّ غياب إصبعك الصّغيرة عن فمي موت

وأنتِ في طنينِ العمرِ صوتُ.

**

حديقة

(1) الشمعدان

شمعداني المُنقَى من اللَّيْلِ،
كم رفعتك الأَكْفُ إلى كَوَّةِ العَمْرِ
حيث العناكبُ تنسج موتي!
وكم أشعلتك العيونُ،
لتفضح صمتي!
وكم وهبتك القصيدةُ من شجر سامقٍ
لحقول السماء التي تتشرب وقتي!
وكم نامَ فيك انتظار البروقِ،
وكم صرتَ نافذةً في هياكل بيتي!
فيا شمعداني القديمِ،

تراجع إلى الدّرج
حيث الرّسائلُ بعد أصابعها تستقيض بزيت.
ويا شمعداني المسيح،
قد ثقبتك بشمعتها
وسّع الآن صوتي.

(2) موسيقا

مثل بلّورة تتألق في الصّمت،
صاعدة تمنح الدّرجات لمن يتلقى الشّطايا بكفيه،
نازلة تهبّ الملكوت لمن يتطاير مثل الفراشات في جوّها،
شمسها تتكاثف في الرّوح تلويحةً للأحبة.
لا تتركونا نجرّ السّماء إلى مقعد فارغ،
لنصافح نجمتنا العالية.
أرفع الصّوت، أرفع نهراً من الصّلوات إليك،
تعودين من غائب العمر للحجرة الخاوية،
أخفض الصّوت،
أخفض جرحاً بهياً إلى قدميك،
تنامين أعمق من شهقاتي،
فأسجد للحن،

كي يرفع الهاوية.

(3) النبيذ

النبيذ فرأش،

وروحي له شبكته،

الفراش يُحوّم،

كيف إذا أخرج الكأس من موجة الحركة؟

الفراش يُحوّم،

ثمّة باخرة في محيط التّجلي،

شددتُ إليها حبالِي،

لأصطادَ تلوحةَ السمكة.

(4) دخان

الدّخانُ الذي يتساقط جمرًا على العشبِ

يبتكر البابَ في آخر الكون نحو البساتين:

تفاحةُ الرّغباتِ،

السيّاحُ،

يد الفرّاح المنفتح قرب السّواقِي،

الرّكوبُ على مهرةٍ في الهواءِ،

اقتناصُ الغيوم،
وملءُ السَّلالِ،
صرخةُ الحارس المتسكع: لا تقطع الورد،
طفلُ الشَّقاوات يركل تاريخه،
يصعد السَّور مروحةً،
تدفع الشَّعر نحو الطَّواحين،
صرخة مَنْ تتدافع عبر التَّلالِ؟
يسأل الفارس المتقدِّم عبر الضَّبَّابِ،
فأهتف: صرخة دم،
وأعود إلى شبحي الدَّاخلي،
أقاتل فيه الظَّلَّالَ،
وأركض قاطرةً من دُخانِ،
تحدِّر عبر سفوح الألم.

(5) الكمان

الكمانُ الرَّحيبُ، عليه تضيق السَّحبُ،
الكمانُ الرَّحيبُ يطوقني بالتَّعدِّدِ،
بعض النَّقاصيل عن وردةٍ في المناديلِ،
بعض البحار التي تتشكَّل فوق أصابعها،

وبعض المراكب في راحتي
الکمان المجرّح بالابتکار،
یعمّد أخشابه بنزيف الأغاني،
ویغمس أوتاره في کؤوس اللهب.
صحبّة لا تملّ الخروج إلى النهر حيث بکاء القصب،
صحبّة کالکتاب مطرزة بالشهب،
أستکینُ إليه،
وأترك نافذة للعصافير،
تشرب منّي الخمر،
وتأکل منه العنب.

**

كل الزمان

التقيتُ بها السّاعةَ السّابعةَ،
لم أكُ أقطفُ الوردَ من فمها،
صارت السّاعةُ الثّامنةُ،
فانشغلتُ قليلاً بترتيب أشياءها في الخزانة:
قارورةِ العطرِ
حمّالةِ النّدي
بعضِ الرّسائلِ...
حتّى أتيتُ إلى الثّاسعةُ،
وانصرفتُ إلى البحرِ،
ألهو بأسمائها.
صارت العاشرةُ،

فبحثت عن المرأة الحاضرة،
لم أجد لها،
اختفت،
ورأيت العقارب مثلي تعود إلى الساعة السابعة،
التقيت بها الساعة الصفر،
كلّ الزمان توقّف في لحظة مانعة.

**

أكتب الشعر

أكتبُ الشَّعْرَ،
كي أتَنفَّسَ عَطْرِكَ،
وردكِ فوق الأصابع، منذ اللقاء الأخيرِ
يفتِّشُ عن كَوَّةٍ في جدار الوداعِ،
لتشُدَّ اللقاءَ إلى الخلفِ نَهْرًا،
يفيضُ إلى الموتِ.
ما أجمل الموتَ!
وحدهُ يدخلُ في ظلِّنا،
لنعانقَ شمسَ الضَّيِّاعِ.
أكتبُ الشَّعْرَ كي أتجدِّدَ
هذا رمادي يفيضُ على الدفترِ المتعطِّشِ

منذ الوداع الأخير، نجومك فوقي
تضيء الأراجيح في عثمة الكون
حيثُ جلستُ طويلاً أفكرُ.....
هل أتفاءلُ بالحبِّ حقاً؟
وهل أستطيع بفأسكِ هدمَ القلاعِ
أكتبُ الشعرَ كي أتساءلَ
هل كان وهماً لقاءك؟
أم كنتِ وهماً ركضتُ إليه فغابَ
هكذا أتفجر كالنبع بالأسئلة
هكذا أتمنى المساء الأليفَ القديمَ
الهروبَ من البيتِ
عصرَ العناقيدِ
إطفاءِ جمرتنا المشعلَّة
كم أريد حضورك!
نأيكِ ألمٌ من قوسِ حبري الذي جفَّ،
وجهك أجملُ من ضحكة الشعرِ،
صوتك أفننُ من كرزاتِ القصيدة...
أعرفُ أنّي أكور طينَ الكلامِ،
لألصقه في الجريدة،

ثمّ أعرف أنّي أجيء إلى البيتِ محتقلاً بالقصيدة،
ثمّ أعرف أنّي سأفتح باب السّرّاب،
وأعرف أنّك خلف الصّحارى بعيدة،
فلماذا أحسّ بصوتك،
يركض بين ضلوعي؟
لماذا أحسّ بكفّك،
تمسح عني دموعي؟
لماذا أحسّ بأنك قربي،
وأنّ شفاهك تلمس قلبي
لماذا أحسّ بنافورة تتدفق منّي
لتغسل عن قدميك التراب
لماذا أفنّت في الماء خبز الحضور
وأعرف أنّك منذورة للغياب
أحبّك،
طال ربيع الكآبة في القلب،
عودي خريفاً،
ولمّي عن المقعد الحجريّ الفراشات،
شقّت من اللّوعة العسلية للحلمتين،
وحنّت إلى الطيران،

أحبك
صرتُ بحبك أثقلَ من شجر السرو
صرتُ أخفَّ من الريح
صرنا معاً
فكرةً تنتقلُ
في وردةٍ تتجذّر فوق المكان
فتعالى،
لأشعر بالخنجر اللغويِّ يمزق صدري
تعالى
سنقطفُ من شجرة الدار ليمونةً،
نتقاسم منها الحموضة والشمس،
كي يتعدّل فينا مزاج الزمان.
وتعالى،
سنسرق بعض السفرجل، من كيسنا الأزليّ
لأطعمه الطيرَ في شفّيتك،
وأشرب منه الكلامَ الذي لم نقله،
لكيلا تغصّي بريق الحنان.

وكأني أهدم الجنات

قبل أن أتركَ ليلَ الرَّحْمِ المغلقِ شاهدتُ ملاكاً،
جاءني فيما يجيءُ
مثلَ عصفورٍ مضيءٍ،
نقرَ الشَّبَّاكِ،
فانزاح الضَّبَّابُ.
كنتُ كالوردةٍ لَمَّا أُنْفَتِحُ،
وتويجاتي الوصايا والسَّرَابُ.
وقف العصفور في فتحة قلبي،
ثمَّ أعطاني خيارات النِّجَاهِ:
كوَءَ الرُّوحِ،
رؤى المرأة والشَّعرِ،

وآفاق العذاب،
أو كتاباً يهب النفس الطمأنينة مطويّاً على سرّ الحياة.
هل ترددت طويلاً؟
ربّما لكنني حين أتى الطلق تطلّعتُ إلى الكون قليلاً،
ثمّ أحرقتُ الكتاب!
وإذاً كان اختياري العشق،
والمرأة منذ الصرخة الأولى،
تلّم الفحم عن كائنها الأزرق،
المرأة مثلّ العسل الدافئ للجرح
ومثلّ الثلج للخمر
وفيها كلُّ ما يجعل عشب الحبّ غاباتٍ شجن
أو دم العاشق تاريخ سفن
أو يد الشاعر إبيريقاً من الحبر على كأس الزمن.
هي طيني كلما فكّكتني الخسران،
وانهدت سدودي،
هي توتي كلما تقنتُ إلى طعم الخلود،
وهي المرأة ضوء الجسد الساطع
كالقبة في أبهى حضورٍ لارتياح الشغف الخالص.
المرأة جسر الروح نحو اللانهايات وتمكين الدم العاجز

من قنص طيور الخصب في ليل الوجود،
وهي الفلّة في الكأس،
وفجّ الجمر في الرأس،
وعين الماء إذ ترفد آبار النّشيد.
وإذاً كان اختياري الشّعْر،
والشّعْرُ صهيلُ الجسدِ المؤوّدِ
صوتُ الحجرِ النَّائمِ
حلْمُ الرّوحِ بالغامضِ
ضوْعُ الهديانِ الحلوِ
إغلاقُ الممراتِ على النّفسِ
حصولُ اللّذّةِ الكبرى
وتقليصُ المسافاتِ مع المطلقِ...
الشّعْرُ زمانُ الأمكنةِ،
لا سواهُ يتماهى في شقوقِ المركبِ التّائهِ ألواحاً،
وفي ماءِ الحواسِ الضّحلِّ قيعاناً من الدّهشةِ.
الشّعْرُ مكانُ الأزمنةِ،
يفعلُ الشّعْرُ الأعاجيبَ،
يعيدُ الرّوحَ للميتِ،
يؤاخي الماءَ بالنّارِ،

ويحدو في سباق الموت كلَّ الأحصنة..
وهو الشَّعر، انبثاقُ القمحِ من مَسْكِبِ جمرٍ
وانفجارُ الوردِ في الأرواحِ
ربطُ الكرزِ الأخضرِ بالشَّمسِ
وتتليجُ الجراحِ الساخنة..

فاذريني،
كلَّ ما أكتبهُ الآن يقاضيني،
أنا المشدودُ كالسهمِ إلى قوسك،
لا أقدر أن أطلقَ روحي في فضاءات اليقين،
لستُ منحازاً إلى غيرك،
ليس القلبُ أنفاقاً إلى هجرِك،
لكنَّ صلاةَ الشَّعرِ تنهاني عن التَّجوالِ في حقلِك
والإيغالِ في نسغِك
واللَّهو بحباتِ الحنين..
وكأني أهدمُ الجنَّاتِ،
كي أحظى بصحراءَ من الوحشةِ،
كالأفعى بها أسعى على الأشواكِ
مفتوناً ببحثي عنك في كلِّ ربيعٍ،
وكأني أغرس النَّابِ بشرياني لتخديرِ الجنونِ،

كلّما وصلتُ خيطاً فيك جاء الشّعْرُ،
كي يقطع خيطاً.
كلّما قنّلتُ إبطاً منك جاء الشّعْرُ،
كي يجرح إبطاً
فافهميني،
وحده الشّعْرُ يزيج الطيّرَ عن عين الخالص الأبدى،
فإذا أصبحتُ للمرأةِ وحدي،
كيف لي أن أطرق البابَ الذي يُفضي إلى الشّعْرِ النَّبِيِّ؟
وحدها المرأةُ كاللؤلؤ تجتاح غباري
فإذا أصبحتُ للأشعار وحدي،
كيف لي أن أصنع الماسات من فحم انتظاري
أنتِ والشّعْرُ صراطانِ صديقانِ عدوانِ
ينوسان أمام المقصلة،
وعذابي أنني أجهل في أيّ اتجاهٍ،
أدخل الرّأس،
لتتجو الأسئلة.

**

لمن سأغني؟..

لسيِّدةٍ في الصَّفوفِ الأخيرةِ، تُشعلُ سيجارةً، لتضيءَ
بشهوتها، ودَمَي يتسرَّبُ مِنِّي، ويجلسُ فوق الكراسي، لعلَّ
التي شاغبتُ في حضورِ القصيدةِ تُنزلُ (فستانها)، ليحطَّ
الحمائمُ على كتفيّ.

لتلك الصبيّةِ تكتبُ أولى الرسائلِ عشقاً بإنشائها المتكسّرِ،
والمقعدُ الحجريُّ يقولُ: اقرئيني، وخيطُ الورودُ يقولُ:
اربطيني، وكلُّ القصائدِ من أجلِ قيسٍ وليلي تقولُ: أنا
البرعمُ المتوهّجُ، لا تطمريني بهذا الصّراخِ من (الرّوكِ
والرّولِ) والزّعقاتِ العظيمةِ للرّخِّ في (التلفزيون). هل
سأغني لذاك البطينِ الذي ينحني لمرورِ الجنودِ، ولا ينحني
لخروجِ العصافيرِ؟

هل سأغني لذاك المحاربِ في (تخته) حين يعلو النّشيدُ،
يفتّش عن سببٍ للهزيمةِ في ورق اللّعبِ، يلعن حظّاً، أتى

به نحو الحدود، ويأكل (سندويشة) من (فلافل)، خلّها السّأم، يمسح حرّيته بالجريدة، ثم يقصّ الأظافر في صفحة الشّعْر، هل سأغنيّ لذاك المعلم في صفّه؟ كالطبّاشير يذرو الشتائم، ثمّ يعود إلى بيته، ليسائل جنّية الحُلم عن سبب العشّ في عرق، صار لا يُسكر، هل أغنيّ لمن يطمُر الباب بالخوف والخوف بالصّمت والصّمت بالانتظار، ولا يبصر؟!...!

كيف ذاب الجليد، ففاض على السّطح دود المقابر؟ كيف أغنيّ له، وهو يقرأ تفسير حلمي بفنجان قهوته، وهو يطعن ظهر كلامي بسكين ضحكته؟ هل أغنيّ لرملة العماء الذي يصهر الصّخر تمثال ليل طويل المخالب، يدخلها في العيون؟ هل أغنيّ لطفل صغير، تعلم في الصّف فكّ الحروف ولجم الجنون؟

لمن سأغنيّ؟ وشعر صديقي تخمّر خلاً، وشعر حبيبي تساقط ظلاً، وكلّ الذين يخبّون في النّوم فوق الجياد يسيرون في الصّحو قتلى.

أغنيّ لذاتي، لأصبح أحلى،
وقد أعرف الذات، وهي تلمم مثل العصافير حبّ الكأبه،
وقد أقرأ الرّوح، وهي تفضّ غشاء الكتابة.

لمن سأغني؟

**

الفهرس

8.....	ذاكرة ما قبل ميلادية
10.....	ذاكرة أمومية
12.....	ذاكرة رعوية
14.....	ذاكرة فرعونية
16.....	ذاكرة إغريقية
18.....	ذاكرة صحراوية
20.....	ذاكرة عربية
22.....	ذاكرة غنائية فولكلورية
24.....	ذاكرة حمصية [1]
26.....	ذاكرة شعبية
28.....	ذاكرة أوروبية معاصرة
30.....	ذاكرة شعرية عربية محاصرة
34.....	ذاكرة شعرية عربية قديمة
39.....	ذاكرة دمشقية
41.....	ذاكرة لونية
43.....	ذاكرة وصفية

45	ذاكرة قصصية.....
47	ذاكرة شكسبيرية.....
49	ذاكرة طفولية.....
51	ذاكرة معاصرة.....
53	ذاكرة مستقبلية.....
55	ذاكرة عشقية.....
62	ذاكرة اليقظة والحلم.....
64	ذاكرة ذكورية.....
69	ذاكرة حمصية [2].....
71	ذاكرة القصيدة.....
74	ذاكرة واقعية.....
76	ذاكرة الغياب.....
78	ذاكرة الضد.....
81	ذاكرة ليلي والذئب.....
83	ذاكرة الأرنب.....
85	ذاكرة مدرسية.....
87	عرجاء تركل باب المعاني.....
93	حجر النسيان.....
97	ندم الثلوج غربة الرمال.....
102	الشاعر.....
106	لأنني أحبها.....
108	من أجل عينيها.....
112	من أوراق الحلول.....
117	شاعرة.....
120	غصن الأرق مشمش الخيال.....

123 إيقاع الوحدة المكسور
126 غياب الأصابع
130 حديقة
130 (1) الشمعدان
131 (2) موسيقا
132 (3) النبيذ
132 (4) دخان
133 (5) الكمان
135 كل الزمان
137 أكتب الشعر
142 وكأنني أهدم الجنات
147 لمن سأغني؟
150 الفهرس
